ليس في الباب الشرقي فحسب

الموت يسير حثيثاً والضحايا أبرياء

بغداد/ محمد شفيق

كان ذلك في منتصف ستينيات القرن الماضي حينما اخذني المرحوم خالي الى الباب الشرقي لاساعده في ترتيب وتصفيف البنطلونات والستر التي كان يبيعها على الرصيف هناك امام سينما الحمراء وهي من مشتريات (اللنكات) التي تسمى هذه الايام (البالات).

منذ ذلك الوقت وانا وبرغم صغر سني حينما كنت ارنو الى الباعة المتوزعين على الرصيف سواء امام سينما الحمراء ام سينما ميامي عرفت ان هذه المنطقة هي ملاذ الفقراء الذين لايمتلكون من اموال الدنيا شيئاً يديمون الحياة وهم حتى بلا احلام .ربما توصلت الى هذه القناعة متاخراً عندما كبرت .وكنت وانا مع خالي استمع الى اغنيات ام كلثوم ولاسيما اغنية ياظالمني التي كانت تبث من احدى هذين الدارين ..الكل كان يسعى لكسب رزقه بائع السكائر و(الداطلي) والشربت والحب والعلك وباعة الراديوات والمسجلات ..وهذه الفسحة من المكان كانت فردوساً للفقراء من امثال خالي الذي كان يسكن في غرفة مع عائلته في منطقة حجي منيشد خلف مقبرة الغزالي مثل عشرات العوائل الاخرى .. وفي الباب الشرقي وبالذات في السبعينيات افتتح محل لبيع الكبة سمي كبة الكبة ومحل لبيع الشربت وعربات لبيع اللبلبي والشلغم والشوندر والباقلاء. وحينما هدت الحكومة داري السينما توسعت الفسحة وجاء اناس آخرون يبيعون الحاجيات المختلفة مثل المواد المنزلية والصحية والكتب والمجلات وصور الممثلات وتوسعت مهنة بيع الملابس المستعملة وكثر الخياطون والروافون وباعة الاحذية المستعملة ايضاً .. في التسعينيات تم بناء المرآب الموجود فتقلص السوق ورحل عنه من رحل وبقي فيه من تحايل على المكان وأخذ له مكاناً خلف المرآب وامامه وبجانبيه واضيفت حافة الرصيف الممتد من بداية النفق حتى بداية ساحة الطيران وازدادت اعداد الباعة ليقيموا اود عوائلهم بسبب شحة فرص العمل والحصار الذي كان مستمرا لاثنتي عشرة سنة وعدم لجوئهم للجريمة والسحت الحرام وبعد العام ٢٠٠٣ تناسل هؤلاء الباعة لان البطالة كانت تلاحقهم وهم اولى بفرص عمل شريف.

ياترى ماذا كان يبيع هؤلاء؟

مررت صباح يوم الانفجار هناك قاصدا مكان عملي فكان هنالك شخص يضع امامه مجموعة مجلات قديمة متهرئة الاغلفة مصفرة الاوراق ومعها مجموعة كاسيتات قديمة لعبادي العماري (فصلية) وسلمان المنكوب (مواويل) وجعفوري وام كلثوم كاسيتات ربما تعمل وربما لاتعمل وشخص اخر وضع امامه بقايا راديوات ومسجلات وجهاز تلفزيون صغير قال عنه ابيع سمك في الشط وذلك لكي لايكون هناك سؤال عنه بعد بيعه وهنالك من يبيع اللفات والمعلبات والصابون وادوية الرصيف وغيرها من متطلبات السائر في ذلك السوق المواجه لحديقة الأمة يوم الاثنين ١/٢٢/ ٢٠٠٧ ظهرا قتلوا كل هؤلاء بسيارتين مفخختين وقضوا على احلامهم في العودة الى بيوتهم عصرا وهم محملون بكيس طماطم او كيلو برتقال لاطفال يترقبون الطريق متى يعود آباء هؤلاء ليطرزوا الحياة لغد يدفع بهم لغد اخر؟ مات هؤلاء برمشة عين وتناثروا فوق الشارع وفي حديقة الامة وفي الجانب الاخر من حديقة الامة وفي كل مكان من ذللك السوق الذي بقيت منه الذكرى فقط بعد ان حط الموت في كل مكان فيه حتى سرفات المباني المطلة عليه والمباني نفسها واسفلت الشارع الذي بات اسودا مثل وجوه الذين نفذوا العملية ...

لادري بالضبط كيف يفكر اولئك الذين يقفون وراء هذه الجريمة؟ وأين يضعون هؤلاء الابرياء الذين سقطوا بالامس؟ ليس هناك تبرير واحد يقنعون به حتى المجنون بقتل هؤلاء ولاأعتقد ان بين هؤلاء من يستحق هذا القتل فالطرف القاتل هو الطرف المتخبط الذي يريد أيقاف الحياة من خلال زرع الموت هنا وهناك وكانه يريد خلق بديل للحياة متناسيا ان الموت والدمار والحروب والقتل العشوائي لاتستطيع كل هذه المفردات ان توقف الحياة المتمثلة بالشرف والسمو والزهور التي تورق والاغصان التي تظلل الناس والاشجار التي تشعر الاخرين بالتعالي هذا الموت يتكرر يوميا في بغداد في ساحة الطيران في الميدان في مدينة الصدر في بغداد الجديدة و في ساحة بيروت و في الكرادة والاعظمية لن يزيد الناس الا أصرارا على المواصلة وتكملة المشوار الذي بدأوه .

رئيس الوزراء يقول ان الحكومة تلاحق المنفذين لهذة الجريمة ونحن بالانتظار ليعرف العالم من هؤلاء المجرمون؟ ولكن، هل تتم الرأفة بهؤلاء الذين ترملت تسعون امرأة بسببهم وتيتم عشرات الاطفال وثكلت أمهات وترمدت عيون الاباء ؟ ان من يرمي علينا القنابر والمفخخات هل نطبق بحقه قانونا ديمقراطيا مرنا ونسجنه سنه او اثنتين ويعود بعدها للحياة وهو يرفل بها ؟

ان هؤلاء بحاجة الى ردع بمستوى جرائمهم ...

تدخين الأطفال ... أول خطوة نحو الهاوية

غياب دور العائلة والمدرسة في الحد من هذه الظاهرة

بغداد/ حسين ثغب

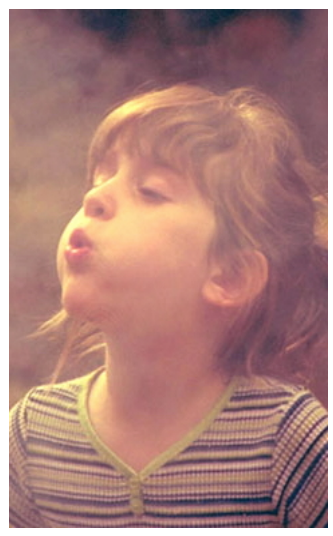

حدثني احد الأصدقاء عن مشكلة ولده الذي اكتشف انه يمارس التدخين بشكل مستمرة برغم ان عمره لا يتجاوز الخمسة عشر عاماً وبدأت هذه الممارسة تخلق فجوة في علاقته مع ولده وقال ان هذه الممارسات تنتشر بشكل لافت للنظر بين الأطفال بين أعمار ١٣، ١٥ سنه داخل المجتمع العراقي وتترك تأثيراتها السلبية في صحتهم فضلاً عما تمثله هذه الظاهرة من خرق للبناء الاجتماعي للعائلة العراقية .

يقول صاحب مهدي معاون مدير مدرسة ابتدائية: طالب المدرسة في مرحلة لا تسمح له أن يقيم الأمور بشكل صحيح وبذلك يكون قادرا على تقبل أي ممارسة لا تتناسب وتربيته في البيت بحكم اختلاطه مع طلبة آخرين يمتلكون صفات سلبيه تكون إدارة المدرسة في غفلة عنها . الأمر الذي يجعل المشكلة تتنامى وتصبح من المستحيل السيطرة عليها من إدارة المدرسة . فضلاً عن أن هناك عوائل كثيرة تبعث بأبنائها إلى المدرسة وهي مطمئنة بأنهم ذاهبون لتلقي دروس في التربية أولا والتعليم ثانيا متجاهلين متابعتهم وما يتمتعون به من مستوى علمي وخلقي داخل المدرسة. وهذه الممارسات نجدها منتشرة بين الطلبة بدرجات متفاوتة حسب المرحلة العمرية وطبيعة حياة الطفل فالطلبة الذين تركوا المقاعد الدراسية ومستواهم العلمي محدود تجدهم الأكثر ميولا لهذه الحالة التي يجدون فيها ممارسة لحرياتهم المقيدة داخل المدرسة إضافة إلى الإهمال الذي يعانونه داخل عوائلهم . أما بين تلاميذ المدارس الابتدائية غير ظاهرة منتشرة بشكل لافت للنظر ولكن بنسب مختلفة ومنخفضة وهناك طلبة يعانون حالات شاذة يقبلون على التدخين خلسة من دون ان يلاحظهم احد خصوصا في المدارس الابتدائية وذلك يحصل لعدم تعاون ادارة المدارس مع عوائل الطلبة .

حدثنا محمد جواد ١٣ يعمل في محل لتصليح السيارات قائلاً: اعمل في هذا المحل منه ثلاثة أعوام مع عدد من زملائي هنا وتعلمت التدخين من خلال احدهم حيث كان عملنا سويا من الصباح حتى نهاية اليوم وأحيانا يعرض علي سكارة وهكذا تعلمت وأصبحت لا استطيع الاستغناء عن التدخين ثم تحولنا إلى تدخين النركيلة المعسل الذي نجد فيه متعة كبيرة وهكذا تجد في مقاهي مناطقنا يقدم الكثير من بأعمارنا إلى التدخين عبر النركيلة . كما أن هناك من يعتبر أن النركيلة ليسا من أصناف التدخين ولا تعتبر عيباً اجتماعياً مثل السيجارة . أما عن والدي فهو لا يدخن ولا يعلم أني أمارس التدخين وانا حذر حيث لا اذهب إلى المقاهي أو الأماكن التي يذهب إليها هو أو احد أصحابه لأني لا ارغب في أن يعرف لان هذا الأمر سيعرضني إلى مشاكل كثيرة فوالدي هو الذي وجد لي هذه المهنة لكي لا أضيع وقتي في أمور تافهة بعد أن تركت المدرسة لأني لا استوعب دروسي ورسبت أكثر من سنة دراسية في الخامس الابتدائي . وتابع الحديث يونس سلمان بائع السكائر في احد مناطق بغداد حيث قال: أبيع السكائر في منطقتي واعرف جميع من يدخن هنا شباباً كانوا أم أطفالاً . وحقيقة يوجد بعض الأطفال تتراوح أعمارهم بين ١٢- ١٥ عاما يدخنون بشكل مستمر ويشترون كميات كبيرة من السكائر تفوق أحيانا المدخنين من كبار السن البالغين . وأشار إلى أن كثيراً من الأطفال المدخنين الذين يشترون السكائر هم من الذكور الذين لا تعلم عوائلهم أنهم يمارسون هذه الظاهرة وأغلبهم من عوائل يكون فيها الأب وإلام من المدخنين وكذلك هؤلاء الأطفال يعانون إهمالاً واضحاً من وائلهم ولا توجد متابعة لما يفعلونه فمنهم من ترك المدرسة والآخر متسرب عن الدوام . والأمر لا يقف عند هذا الحد فالسكائر تحتاج إلى نقود والأطفال لا يستطيعون الحصول على النقود الكافية لشرائها . وهذا أمر قد يدفع المدمن على التدخين إلى السرقة أو ما شابه ذلك . وهذا من مسؤولية العائلة بالدرجة الأساسية حيث يجب عليها متابعة الطفل داخل البيت ومع أصدقائه وفي المدرسة ويجب أن تتعاون جميع الأطراف للحد من هذه الظاهرة الخطرة .

وشاطرهم الحديث الطبيب مؤيد العزاوي من دائرة صحة بغداد الكرخ فقال: التدخين ممارسة يعرفها جميع أفراد المجتمع وتحمل تأثيرات سلبية كبيرة على من يمارسها وهي سبب رئيس لأمراض خطيرة لا يمكن أن يشفى منها المصاب بسهولة وأحيانا تذهب بمن يدخن فترات طويلة إلى الهلاك . حيث هناك أطفال يمارسون التدخين بكميات كبيرة وهم أكثر عرضة للامراض خصوصا أمراض الرئة والقصبات الهوائية وغيرها وهؤلاء لا يستطيعون ترك التدخين لكونهم مدمنين وأجسامهم تكون بحاجة إلى النيكوتين .

وقال الدكتور معتز يحيى من وزارة التربية: أذا نظرنا اليوم إلى بعض المدارس نجد هناك قصورا كبيرا في التربية السلوكية بوصفها منهجاً تدريسياً. كما نجد في بعض المدارس عدم وجود التدابير الاحترازية الوقائية التي تمنع وجود أي تجاوزات سلوكية وإذا وجدت في بعض المدارس حالات انحراف لبعض الطلبة بالمقابل لا توجد إدارات جيدة صارمة لاحتواء هذا السلوك أو إعادة تأهيل الطالب المنحرف دون أن يخسر فرصته في التعليم . وفي بعض المدارس يكون دور مدير المدرسة ومعاونه والمشرف التربوي غير فعال بالشكل المطلوب وذلك لالتزامهم بالأمور الإدارية التي تأخذ اغلب وقتهم وبذلك لا يجدون الوقت لبحث الحالات التي ترد إليهم ومنها هذه الممارسات . كما قد يكون المشرف التربوي بحاجة إلى دورات وتأهيل مكثف لوظيفته في المدرسة حتى يكتسب الثقة بنفسه ويستطيع معالجة الحالات من دون حرج أو خجل . ويجب أن يكون للمدرسة دور في احتواء الطلبة الذين هم بحاجه إلى الرعاية والحماية وخاصة المعرضين للانحراف لوجود نقص وعيوب في البناء الاجتماعي للعائلة .

موظفات في شارع حيفا
بين معوقات الطريق ومحاسبة المسؤولين

بغداد/ سلامة عبد الحسن

توجد في شارع حيفا ست دوائر حكومية وهي وزارات الثقافة والعدل والدولة للسياحة ودائرة الرقابة المالية ودائرة التقاعد العامة ومكتب بريد حيفا وكلنا يعرف ان هذا الشارع من بدايته حتى النهاية ساخن جدا ومعظم الاحيان مداخله ومخارجه مغلقة واحيانا يستمر الغلق أياماً ويصعب على الموظفة التي تسكن في الرصافة او حتى التي تسكن في الكرخ الوصول الى مقر عملها بسلام ومطلوب منها حضور يومي وعليها ضغوط كبيرة من المدراء بخصوص الحضور والتوقيع فما هي مشاكلهن وماذا يردن؟

تقول ام مصطفى / موظفة في مديرية التقاعد العامة في منطقة الكرخ ٤٥ سنة/ عند مجيئي صباحا للدوام اكون مجبرة لان منطقة دائرتي ساخنة و تقع في الكرخ محاذاة نهر دجلة ولا اعرف في اي لحظة سوف اقتل او افخخ وهذه الامور كلها تشل تفكيري وتؤثر في ابداعي وعطائي ورغبتي في العمل بالاضافة الى خوفي على اطفالي في المدرسة والبيت وماذا سيحل بهم؟ وتضيف ام مصطفى ان مديرهم العام متشدد جدا في مسالة الحضور والغياب ولايهمه الوضع الامني المتردي وصعوبة وصولنا للدائرة بسلام لانه ياتي بسيارة مصفحة ويحميه عشرات الحراس الخاصين به وبيته قريب جدا من الدائرة وتحكي لنا ام مصطفى متاعبها فتقول: كم مرة جئت للدائرة صباحا وحدثت مواجهات في شارع حيفا قرب الدائرة حيث يرعبني اطلاق العيارات النارية او مشاهدة الجثث في الشارع وعليه اضطر للعودة الى البيت هربا من النار والموت وتحسبني الدائرة غائبة وانا كنت مجبرة ومضطرة لذلك ولااحد يقدر، وقد قتل اربعة اشخاص من حماية الدائرة فمن يحمينا وكيف نشعر بامان؟ وقتلت عجوز برصاص قناص كانت تراجع الدائرة كل هذه الامور تجعلني اكره الدائرة ولكن عندي خدمة واتمنى الهدوء للالتزام بالدوام.

تقول امل كاظم حسين / موظفة في وزارة الثقافة تسكن في منطقة الرضوانية: ان مجيئها للدائرة هي رحلة شاقة وطويلة تقول اخرج مبكرة جدا في السادسة صباحا واستقل سيارة من الرضوانية الى الشرطة الخامسة والرابعة ثم الى البياع ثم الى علاوي الحلة واكثر المواجهات المسلحة كنت شاهدة عليها منها في منطقة السويب والبياع والشرطة الخامسة واخيرا في شارع حيفا حيث مقر وزارة الثقافة وتقول كنت شاهدة على اشتباكات عديدة ومواجهات عند مروري بهذه المناطق والرعب والخوف يسيطر علي وبرغم ذلك استمر برحلتي الشاقة من اجل زوجي المعوق واولادي وكما تعرفين الحياة صعبة وهي تجبرني على المجيء الى دائرتي التي تقع في مسرح الموت والاغتيالات وتضيف بانها لاتتمتع باجازة او استراحة الا ما نادر لان الدائرة تعتمد عليها وتتحسر ام حيدر بانها مجبرة جدا على الاستمرار في العمل وعندها خدمة طويلة ٢٥ سنة وهي تنتظر التقاعد علما بانها المعيل الوحيد لعائلتها المتكونة من اطفالها الاربعة وزوجها المعوق جسديا وعقليا بسبب حروب صدام فهي تصرف على ايجار البيت والمصرف اليومي وعلاج زوجها باهض الثمن تقول كل هذه الظروف المعيشية القاسية تجبرني على الاستمرار بالعمل تحت تهديد الموت والتفخيخ والاختطاف وتواصل انني احضر للدوام حتى لو كنت مريضة جدا

مريم عبد الله/ معاون ملاحظ في وزارة الدولة للسياحة تقول: مشاكل الطريق والزحام واطلاق العيارات النارية العشوائية والانفجارات والتفخيخات كلها نتحملها على مضض وخوف ورعب وامرنا لله ولكن توجه نحونا الهاونات والقاذفات في مرات عديدة وكم مرة تعرضت لهذه الامور لكني استمر بالعمل لاني مجبرة وعندي ١٨ سنة خدمة وراتبي فقط ٢٥٠ الف دينار لاتكفي للنقل والملابس واحمد الله لاني غير متزوجة فان المصاريف تكون عالية جدا وتولد المشاكل الزوجية اليومية وتساءلت مريم لماذا لايكون دوامنا يومين بالاسبوع؟ فماذا نعمل يوميا غير الحديث عن الاغتيالات والخطف والتفجيرات وسمع اصوات الهاونات والعبوات والعيارات النارية وهي مستمرة في شارع حيفا؟ نحن لسنا دائرة خدمية ونقدم خدمات للمواطن مثل المستشفى او المصرف او البلدية -- او تقدم لنا الحكومة الامان او نقل الدائرة الى مكان غير ساخن فيه برود (شوية) سئمنا السخونة .

نضال عبد الستار/ مدير القسم القانوني في وزارة الثقافة تقول انا اتاخر بسبب نقاط التفتيش وعند حدوث مصادمات في شارع حيفا وخاصة عند نهاية الدوام الرسمي فلاتوجد اماكن امنة نختبئ فيها سوى المحلات التجارية التي سرعان ماتغلق عند سماعها اطلاق العيارات النارية وفي احد الايام اختبأت في قيصرية وتحديدا في محل حلويات المعاناة التي اواجهها صباحا كثيرة وتاخرني عن التوقيع في سجل الدوام الرسمي احيانا فاحاسب على التاخير برغم معرفة السادة المسؤولين بوضع البلد الامني ووضع وزارتنا في خط النار اما المشكلة التي اواجهها فهي اغلاق الاسواق بعد انتهاء الدوام الرسمي في الثالثة ظهرا وهذه المشكلة تجعلني بوضع حرج امام احتياجات البيت الضرورية ولااعرف لماذا تم نقل وزارتنا من شارع الربيعي المنطقة الاكثر اماناً في بغداد الى شارع حيفا الاكثر خطورة في بغداد ونصف الوزارة هناك والاخر هنا وتضيف نحن جنود مجهولون لانعرف في اي ساعة تقصف وزارتنا بقذائف الهاون واغلبنا من النساء نحن مجبرات على المجيء للدائرة لانهم يحاسبوننا وانا اخجل من هذا الموضوع فلااحب أن أظهر بالمقصرة او الغائبة بعد طول سنين خدمتي اريد ان انهيها بسلام ولكن من يوفر لنا الامان؟

ابتسام خلف موظفة في مكتب بريد شارع حيفا بدت عصبية ومتشائمة تقول لااعرف لماذا نحن هنا ونستمر بالدوام ؟ فقد تغيرت الامور كليا بعد ان كان الناس يرسلون رسائلهم عبر البريد لانها رسائل ورقية ولكن اليوم بعد دخول الانترنيت والحاسوب اصبح الناس يرسلون ويستقبلون رسائلهم عبر الانترنيت والموبايل وحتى الطرود ثم لماذا لايكون دوامنا يومين بالاسبوع او نقل المكتب الى مكان اخر؟ فما ذنبنا نشاهد كل يوم الجثث في الشوارع تجعلنا نموت عشرات المرات وتؤثر في نفسياتنا وسلوكنا سواء في البيت ام خارج البيت والمصيبة الكبرى ان بيتي في الرصافة وصعوبة وصولي للدائرة صباحا لان السيارات في باب المعظم لاتعبر الى الكرخ وعليه اضطر الى ان استقل سيارة الى الباب الشرقي ثم الى العلاوي واتي سيرا على الاقدام من كراج العلاوي الى دائرتي وهي مسافة طويلة ومملوءة بالمخاطر والمجازفة والخوف والقلق وكم هي مخيفة الافكار التي تراودني وانا اسير الى الدائرة؟ وكذا الحال بالنسبة الى عودتي.